

اذن نوجه كلمة نلتبس بها من عقلاء اليهود أن يشوا
الجهان والمتحمسين من بني قومهم نصائح وارشادات تقف
بهم عند حدهم وتلهمهم رشدهم والتمشي على سبيل الجادة
والصواب توقيا من حدوث ما يسوء في المستقبل وكذلك
نوجه نحن بدورنا كلمة الى اخواننا المسلمين نرجو منهم سماعها
والعمل بمقتضاها وهي أن لا يتعدى أحد منهم على يهودى
ولو بكلمة سوء عملا بأمر نبيهم ولأن هذا عصر الحرية
والمساواة والاخاء ولأنه لا فضل فيه الا لمن اكرمه الله بالتجلى
بحلية الآداب وألهمه لاجتناب ما من شأنه أن يخل بالمرءة
او يقف به في مواقف الارتياح وخير طريق يسلكه الجميع
هو طريق المصافاة ونبذ التعصب والاحقاد جانباً لنعيش
عيشة راضية تحت كنف رعاية سلطاننا المحبوب أيده الله
ونصره وسهر رجال الحماية الذين لا يالون جهداً في الدب
عن حوزة الحقيقة وبث النصائح والارشادات للجميع اللهمنا
الله جميعاً لما فيه صلاح الحال والمآل آمين .

نحمد الصقلي

الكتب والكتب....

للاشيخ عبد الحى الكتانى

ومن اللطائف هنا ما وقع في الثبت المسمى بالموائد
السنية والاسانيد السنية للفقهاء الورع الصالح أبي عبد الله
محمد المعطى بن عبد الخالق بن الشيخ ابى عبد الله محمد
الشرقى دفين مراکش ونصه وقد اتى بمض الطلبة يوما الى
والدى بمصحف قديم وفي آخره ان كاتبه ابان بن عثمان
وقال الطالب لواندى انه عرضه على سيدى محمد بن سعيد

من الخزن ورهبة من اللباس الافرنجى او ما لا أدري حتى
صرنا نرى مناظر من هذا القبيل كل يوم تدمى الفؤاد وتثير
حفائز الاحقاد

ومن جملة أعمالهم التى تنبئ عن عدم اكتراثهم لحرمة
البلاد وكرامة أهلها صاروا في هاته السنين الاخيرة يمثلون
ملكهم السالف وعظمتهم البائدة في عيد فحصبهم كل سنة
فيتجولون في بعض الازقة بموكب عظيم ومهرجانات فخيم
يمثلون به ملوكهم وعظماؤهم وهم مرتدون أبهى الحلل والعائم
والتيجان المزركشة بالفضة والذهب ممتطين صهوات الخيول
المسومة بالسروج المقصبة يحف بهم جنسدهم في أغر بزة
وأحسن هندام وبأيديهم الرايات الصهيونية تتقدمهم جثة
آدمية عظيمة الجرم مصنوعة من المقوى لها مان مرتكزة
على سيارة وهم يوجهون اليها أنواع السباب والرجم في ضجة
وضوضاء تهتز لها الجوانب الى أن يصلوا بها الى البحيرة من
ملاحهم فهناك يقضون عليها حرقا بالنار وبهذا يقطعون
السبلة على المارة فلا يقدر أحد على الوقوف في طريقهم او
مخالفة او امرهم من عابرى السبيل

ومن ذلك ما حدث هاذم مدة من تنقطع بعض
الرعا من لا خلاق له منهم حتى أدى بهم الحال لدخول
مكتب لتعليم القرآن الكريم واهانة الاستاذ المقرئ به على
كبر سنه واتيان فعال ينبوا القلم عن ذكرها اشمزأ من
فظاعتها ما أدى لقيام من رأى او سمع بذلك من المسلمين
قومة لولا تدارك أعوان الشرطة ورجال المحافظة أمرها
لكان حدث ما لا تحمد عقباه من الحوادث التى تنشأ عادة
عن التهور والطيش والغرور اذ طفح كأس الامتهان وبلغ
السيل الزبى

يتصل به فسأل الكاتب فقال انت املينه فقال زياد حديث نفس فلا تكتبوا كتابا جعلتم له نسخة فكان أول من وضع النسخ

وفي صحيح مسلم ان ابن عباس اتى بكتاب قضاء علي . وفيه ايضا فدعى بقضاء علي فجعل يكتب منه اشياء وسبق انه كان يكتب الفتاوي التي يسأل عنها وفي تخريج احاديث الهداية للحافظ الزياغي ان عكرمة قال وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس

وما جاءت دولة معاوية بن أبي سفيان بالشام بعد الوفاة النبوية بنحو ثلاثين سنة حتى صارت له مكتبة ولها خدمة واعوان يتعاونون على احضارها له وقراءتها عليها يجلس لذلك في اوقات معينة لا يتخطاها كما للمسعودي في مروج الذهب وغيره

ثم كثرت الكتب العربية والمعرية وكبرت بها مكتبة خالد بن يزيد بن معاوية الذي يعدل كثير من الباحثين اول من جمعت له الكتب وجعلها في خزانة في الاسلام . قالوا ففي دمشق اذا انشئت اول دار للكتب في العالم العربي هـ انظر ص ١٨٩ من ج ٦ من خطط الشام ففيها ثبت ان اول خزانة كتب في الاسلام انشئت في دمشق هـ

والحال ان الفضل في ذلك اولاد لابي بكر الصديق ثم لعمر ثم لمعاوية ثم لحفيد خالد بن يزيد بن معاوية . فمعاوية هو الذي بنى لحفيد خالد بن يزيد بن معاوية الاساس ونجر له طرق هذا المقياس

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتابه القصد والامم في التعريف باصول انساب العرب والعجم أن طارق بن زياد لما فتح الاندلس في ايام الوليد بن عبد الملك سنة

يعني المرغتي المراكشي الشهير فقال له انه ابان بن عثمان الصحابي فاشتدت رغبة والدي في اشتراؤه وبعثني به اسأل الشيخ يعني محمد بن سعيد المذكور فذهبت به اليه وحكيت له مقالة الطالبي عنه فقال لي كذب نعلم الله مكررا ذلك فقلت في نفسي كيف يسرع الى لعن المسلم فقال لي اني ما لعنته واما قلت نعلم الله أي جعل له نعلالا وقال لي في ابان هذا لعله ابان بن عثمان احد فقهاء الاندلس هـ

فهذه سجلات كانت تكتب فيها في ذلك الزمن المرافعات وضروب الحجج والمشدات الحقوقية فاذا كتبت المرافعات كتبت احكام القضاة ودونت

وفي اخبار قضاة مصر أن قاضي مصر سليم بن عنز التجبي اختصم اليه في ميراث فقضى بين الورثة ثم تناكروا فعادوا اليه فقضى بينهم وكتب كتابا بقضائه واشهد فيه شيوخ الجند ثم جاء المفضل بن فضالة فطول السجلات ونسخ فيها كتب الوصايا والديون ولم يكن ذلك قبله قلت وكانت ولاية سليم التجبي على القضاء في ايام معاوية بن أبي سفيان وفي حسن المحاضرة في باب قضاة مصر عن المفضل المذكور هو أول القضاة بمصر طول الكتب ومراد بالكتب كتب الاحكام والمرافعات في السجلات فيفيد انها كانت تكتب قبل المفضل ولكن باختصار وفي الوسائل الى معرفة الاوائل للحافظ السيوطي أول من امر بكتابة نسخة للكتاب قبل تبديده زياد اخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق الاصمعي عن ابن أبي عروبة قال املا زياد على كاتبه كتابا الى معاوية وسمازياد فقال هذا الرجل عمران بن الفضل البرجمي فكتب الكتاب فلما وصل الكتاب الى معاوية كتب الى زياد كتبت في كتابك عمران بن الفضل ولم تذكره ما

٩٢ من جملة ما وجد فيها ٢٢ مصحف محلاة كلها منها التوراة ومصحف آخر محلى بفضة فيه منافع الاحجار والاشجار والدواب وطلسمات عجيبه فحمل ذلك الى الوليد وكان في المصاحف مصحف فيه عمل الصنعة واصباغ اليواقيت هـ

ووقع في رحلة ابي القاسم الزياني ان ذلك وجد في طليطلة وان من جملة ما وجدوا مصحف الزبور بخط يوناني مكتوب في رق من ذهب مفصل بالجواهر والياقوت ومصاحف كثيرة فيها علوم وصنائع وحكم وغيرها هـ ولولا علم طارق باعتناء الوليد بمثل ذلك ما وجهه له من المغرب الى المشرق

ثم بعد ذلك صار لعمر بن عبد العزيز آخر القرن الاول خزائن من الكتب منها اخرج عمر للناس الكناش الطبي الذي ذكر المؤرخون أنه نقل الى العربية كتاب ابن اعين وجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب فامر باخراجه ووضع في مصلاة واستخار الله في اخراجه للمسلمين فلما تم لذلك اربعون صباحاً اخرج له للناس وبثه في ايديهم وفي ترجمة عمر بن عبد العزيز من الحلية لابن نعيم أن عمر بن عبد العزيز كتب الى سالم بن عبد الله بن عمر اذا اتاك كتابي هذا فابعث الي بكتاب عمر بن الخطاب وسيرته وقضاياه في أهل القبلة وفي لفظ آخر في الحلية اكتب لي رسائل عمر وهذا يدل على ان عمر ترك كتباً وعهوداً وان عمر بن عبد العزيز يستدعي تدوين سيرته وقضاياه واحكامه من حفيده

وفي ترجمة عمر بن عبد العزيز من الحلية ايضاً ان عمر دخل على سليمان بن عبد الملك فراجعه في مسألة اثرية دعت

سليمان الى أن قال يا غلام اذهب فاتيني بسجل عبد الملك ابن مروان الذي كتب في ذلك فقال له عمر كأنك ارسلت الى المصحف القصة . وساق ابو نعيم في الحلية رسالة لعمر بن عبد العزيز كتبها في الرد على نفات القدر وهي مقدار كراسة متوسطة . وفي علوم الحديث لابن الصلاح رويت عن عروة بن الزبير انه قال لابنه هشام كتبت قال نعم قال عرضت كتابك قال لا قال لم تكتب

وفي ترجمة ابن شهاب الزهري من طبقات الحافظ الذهبي قال عبد الرزاق سمعت معمر يقول كنا نرى انا اكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد بن يزيد فاذا الدفتر قد حملت على الدواب من خزائنه يقال من علم الزهري اه منها ص ١٠٠ ج ١

وفي ترجمة ابن شهاب من غيرها انه كان يجلس وكتبه حوله مشغلاً بها عن حوله فقالت له زوجته والله لهذا الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر وهـ وصرح في تكاثر كتبها كثرة اوجبت غيره زوجته منها وفي طبقات الحنابلة للقاضي أبي الخير بن القاضي أبي يعلى البغدادي لما ترجم محمد ابن غسان العلاني حدث عن امامنا (ابن حنبل) اشياء منها قال حدثنا احمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق قال سمعت معمر يقول سمعت ابراهيم بن الوليد سأل الزبير وعرض عليه كتاب من علم فقال احدث عنك هذا يا ابا بكر قال نعم فمن يحدثكموها غيري هـ وفي مناقب الامام احمد بن حنبل للحافظ ابن الجوزي في الباب السبعين بسنده الى مالك ان الزهري سمى به حتى ضرب بالسباط وعلقت كتبه في عنقه

ونقل الجاحظ في البيان والتبيين عن ابي زياد قال كنا لا نكتب الاسنة وكان الزهري يكتب كل شيء فلما احتيج اليه

عرف انه اوعى الناس . وفي علوم الحديث لابن الصلاح
روينا عن الزهري انه قال اياك وغلول الكتب قيل له وما
غلول الكتب قال حبسها عن اصحابها وبذلك كله تعلم
ما في نقل المازري في شرح مختصر الجوزقي من ان مالكاً
قال لم يكن عند ابن شهاب كتاب الا كراسة فيها نسب قومه
وفي آخر دولة الامويين على عهد مروان بن محمد آخر
عظمائهم ظهر عبد الحميد الكاتب ببلاغته واطالته المعروفة
حتى ان كتابه الذي كتبه على لسان محمد بن مروان الى أبي
مسلم الخراساني لما ظهر بدعوته الى العباسيين كان من كبر
حجمه يحمل على حمل قالوا لو ظهر لاوقع الاختلاف بين اصحاب
أبي مسلم فاحرقوه . وكيفما اول محمد جرمة المذكور بكونه كان
مكتوباً في رقوق غلاظ فلا يكون اقل من نحو مجلد تقريباً
وبذلك كله تعلم ما في قول جرجي زيدان في تاريخه
التمدن الاسلامي ص ٢٠٦ ج ٣ ان مرجع الفضل في انشاء
المكاتب الى خلفاء النهضة العباسية ه نعم لازال الامر يكثر
والناية تشدد الى أن وصل ذلك البذخ الى اوجه في زمن
العباسيين ففي عصر ابي جعفر المنصور كانت كتب ابي عمرو
ابن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ كما لابن خلدون تملأ بيتاً الى
قريب من السقف وفي بغية الوعاة الى السقف
وهذا يدل على ان في اواسط القرن الثاني الهجري وآخرة
كثرت الكتب عند المسلمين كثرة مدهشة وبذلك تعلم ان
الجزم بانه لم يعرف قبل الرشيد والمأمون ان جمعت الكتب
في خزانة انظر ص ١٩ من ج ٦ من خطط الشام
حتى جاء في ترجمة مالك من المدارك للقاضي عياض عن
مالك قال كانت عندي صناديق من كتب ذهبت لوبقية
لكان احب الي من اهلي ومالي . وعنده انه قال كتبت

بيدي مائة الف حديث

وفي المدارك أيضاً قال ابن القطان لما مات مالك اخرجت كتبه
فاصيب فيها قطران عن ابن عمر ليس في الموطأ منها شيء الا حديثين
وفي المدارك أيضاً قال عتيق بن يعقوب قال لي مالك
اخذت من ابن شهاب تسعة صناديق ان في بطونها وظهورها
ان منها اشياء ما حدثت بها منذ اخذتها بالمدينة . ونقل عن
بعض اصحاب مالك قال لما دفنا مالكاً دخلنا منزله فاخرجنا
كتبه فاذا فيه سبع صناديق من حديث ابن شهاب ظهورها
وبطونها ملاء وعندنا متادين أو صناديق من كتب أهل
المدينة فجعل الناس يقرءون ويدعون ثم اخرج صندوقاً
آخر فاخرج منه اثني عشر الف حديث للزهري وفي شرح
ابي الحسن علي الاجهوري على عقيدة ابن أبي زيد نقلا عن
امام الحرمين أن مالكاً الى في مذهبه نحواً من مائة
 وخمسين مجلداً في الاحكام الشرعية اه فانظر كم امل في غيرها
من العلوم التي زاول ودون فيها ايضاً

وفي التعريف برجال مختصر ابن الحاجب لابن عبد السلام
الاموي كان عند ابن القاسم العتيقي المصري ثلاثمائة مجلد
عن مالك في المسائل ونحوها وعبارة الحافظ أبي عمر ابن
عبد البر في ترجمة ابن القاسم من الاستيفاء في فضل الائمة
الفقهاء كان عنده ثلاثمائة جملها ونحوها عن مالك من مسائل
سأله عنها اسد رجل من اهل المغرب اه

وفي الدر المختار شرح تنوير الابصار للعلامة الحصري الحنفي
قيل انه أي محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة المتوفى سنة ١٨٩
صنف في العلوم الدينية تسعمائة وتسعة وتسعين كتاباً اه
وفي ترجمة محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة من كتاب الاستيفاء
لابن عبد البر قال قال الشافعي حملت من علم محمد وقرعير كتبها